**جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة**

**كلية العلوم الانسانية**

**قسم التاريخ**

**السنة الأولى ماستر**

**السنة الجامعية 2023- 2024**

**محاضرات مقياس: تطور النظام السياسي بالجزائر 1519- 1830.**

**المستوى: الاولى ماستر**

**إعداد: د.عمريوي فهيمة**

## المحاضرة الثالثة: عهد البايلربايات ( 1520- 1587)

قبل التعرض لتطور النّظام السّياسي أو مراحل الحكم العثماني من المهم القول بأن العلاقة بين الجيش البري ( الجيش الانكشاري) والجيش البحري ( طائفة الرياس) قد ساهمت إلى حد كبير في هذا تطور النظام السياسي بالجزائر وسنتعرض للمؤسسة العسكرية في مقياس أخر.

مرّ نظام الحكم في الجزائر خلال العهد العثماني بأربعة مراحل متميزة و هي:

- مرحلة البايلربايات 1520- 1587م
- مرحلة الباشوات 1588- 1659م.
- مرحلة الأغوات 1659- 1671م.
- مرحلة الدّايات 1671- 1830م

وقد رعي في هذا التّقسيم على الخصوص علاقات حكّام الجزائر بالدّولة العثمانيّة أكثر من بروز تغيرات ذات معنى في علاقات الحكّام بالأهالي.

### 1. مرحلة البايلربايات:

تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل تاريخ الجزائر في العهد العثماني فخلالها تم استقرار الحكم العثماني بالجزائر بفضل جهود الأخوة بربروس خاصة خير الدين ومن تلاهما في الحكم في هذه المرحلة التي انتهت بحكم علج علي.

ووضعت الأسس الأولى لدولة الجزائر الحديثة بحدودها الثابتة وعملتها الخاصة وهي كلها دلالات أساسية لقيام أية دولة مستقلة.

**طريقة اختيار البايلربات:**

حمل الحاكم في هذه الفترة لقب البايلرباي أي أمير الأمراء، وكان خير الدّين أوّل من حمله، و هو بذلك أول حاكم يعين من قبل السلطان العثماني سليم الأول سنة 1519 كحاكم رسمي على ولاية الجزائر فأصبحت بهذا التعيين تابعة روحيا إلى الباب العالي. أما عن كيفية التعيين فقد تعاقب على السلطة في هذه المرحلة حوالي 20 حاكما منهم من تقلد الحكم أكثر من مرة. كان السلطان العثماني يختار حكام الجزائر من الرجال الأكفاء المتميزين بالشجاعة والفطنة والذكاء وحسن التسيير والقدرة على تحقيق الأهداف الّتي فرضتها تحدّيات القرن 16م والتي سنتعرض لها في انجازات البايلربايات على المستويين الداخلي والخارجي. ومن البايلربات نذكر صالح رايس الذي كان على رأس سفينة تابعة للسلطان قبل تعيينه بايلرباي وأحيانا يختارون لشهرة أبائهم مثل حسن بن خير الدين. وكان السلاطين العثمانيين يستعنون ويستشرون تارة في تعيين البايلربايات الأشخاص الذين لهم دراية بأحوال البلاد ففي عهد السلطان حين أراد تعيين حسن بن خير الدين أرسل إلى علج علي وكان حينها قبطان للأسطول العثماني، يستشيره فيمن يراه مناسبا وقادرا وأهلا لحكم ولاية الجزائر في حالة رفض حسن بن خير الدين العودة إلى الحكم الجزائر.

**أصول البايلربايات:**

كانت أصول البايلربايات متعددة فنجد منهم العلج كحسن أغا، وحسن فنزيانو، و علج علي ونجد العنصر العربي كأعراب أحمد، وصالح رايس وابنه محمد بن صالح رايس ومن العنصر الكرغلي حسن بن خير الدين الذي تولى الولاية ثلاث مرات.

**مميزات فترة البايلربايات:** تميزت مرحلة البايلربات العديد من الإنجازات على المستويين الداخلي والخارجي نوجزها فيما يلي.

**التقسيم الإداري:**

قسمت الجزائر إلى مقاطعات إدارية وبدأت بوادر هذا التقسيم عروج وخير الدين وقد استكمل هذا التقسيم في عهد حسن بن خير الدين وكان هذا التقسيم كما يلي: دار السلطان هي مركز السلطة وتضم مدينة الجزائر وفحوصها وبعض الأوطان. والبيالك الثلاثة تتمثل في بايلك التيطري ومقره المدية تشكل سنة 1548، ويعد أصغر وأفقر وأقرب البايلك إلى السلطة. وبايلك الغرب تشكل سنة 1553 وله

خصوصية نظرا للاحتلال الإسباني وتميز تغير العاصمة من مازونة إلى معسكر نهاية بوهران سنة 1792. أما بايلك الشرق فتأسس سنة 1567 وعاصمته قسنطينة يتميز بصعوبة مسالكه بشساعة مساحته وبعده عن مركز الحكم، إضافة إلى كثرة سكانه وتعدد مقاطعاته، ومما زاد من صعوبة هذا البايلك وكثرة الاضطرابات به هو قربه من إيالة تونس.

**تحصين مركز السلطة (مدينة الجزائر).**

بعدما قام خير الدين بربروسة بطرد الإسبان من البنيون سنة 1529م، أعطي أوامر بهدم الحصن الذي بناه الإسبان وبنى حصن أخر مكون من أربع طوابق وعززه مدافع لحماية المدينة من الغارات الأجنبية كما بنى ما يسمى بحوض خير الدين بميناء الجزائر لحماية السفن الراسية فيه من الرياح الشمالية الغربية. واستمرت عملية تحصين المدينة في عهد خلفائه مثل سنة 1556، 1573. كما تم تحصين المدينة بالأسوار والأبراج والقلاع والثكنات وحفر الخنادق، ونذكر على سبيل المثال القلعة التي شيدها خير الدين سنة 1553 والذي عرف بعدة أسماء منها برج مولاي حسن.

ومن أهم أعمال خير الدين أيضا إنشاء ميناء الجزائر، وقام ببناء ترسانة لصناعة السفن، ولضمان حماية السّفن الرّاسية بالميناء كما وجه عدّة حملات بحريّة لنقل مسلمي الأندلس إلى الشّواطئ الجزائريّة، وهو ما عبّر عنه الأندلسيّون في الرّسالة الّتي أرسلوها للسّلطان سليمان القانوني 1541 م.

اهتم باقي البايلربايات بتحصين المدينة منهم أعرب أحمد الذي راسل السلطان سليم الثاني يعلمه بحسن تسييره للولاية ووقوف المشايخ والأعراب إلى جانبه كما عرض التحصينات التي قام بها من تعمير وترميم القلاع وإنشاء الخنادق ومواقع المدافع وبناء الأبراج ونصب المدافع في الأماكن الخطرة ليتأتي رد سليم الثاني بالثناء على تللك المجهودات ومواصلة تحصين الولاية، وبعد سنة تضمن رد السلطان العثماني سليم الثاني على خطاب البايلرباي أعرب أحمد بمنح الخلعة السلطانية له نظرا لجهوده في حماية الولاية حيث أنشأ عدة تحصينات بدار السلطان منها حفر خندق عميق يمتد من باب عزون إلى باب الجديد مع إنشاء سور عاليا بجانبه محاطا بالتراب على جانبيه حتى يصلح للاستحكامات، كما أنشأ جسر وأربعة قناطر وبابا فوقه وبالقرب من هذا الباب أنشأ برج محكماً مملوء بالتراب والحجارة لحراسة الخندق وتزويده بما يلزم من معدات مثل الرصاص والبارود الأسود، إضافة إلى العساكر اللازمة لحمايته.

**توسيع السلطة المركزية:**

استرجع خير الدين القل سنة 1521، وعنابة سنة 1522 ووصل نفوذ السلطة المركزية إلى الأقاليم الصحراوية ففي عهد صالح رايس ما بين 1552- 1556 خضعت بعض المناطق الصحراوية منها الأغواط وورقلة ووادي سوف وتقرت التي كانت بيد بني جلاب، وقام باسترجاع بجاية من الإسبان سنة 1555م وفي نفس السّنة تمّ القضاء نهائيّا على الحكم الزّياني بتلمسان. ومن مظاهر توسيع السلطة المركزية أيضا تصدى حسن بن خير الدين ثم حسن قوصو إلى ملك المغرب أحمد المهدي الذي توسع في كل من تلمسان ومستغانم ووصل حتى مشارف واد الشلف.

**القضاء على التمردات الداخلية:**

منها تمرّد ابن القاضي (وهو ليس أبو العباس أحمد بن القاضي الذي حمل الذي كان على رأس الوفد الذي ذهب إلى الدولة العثمانية من أجل الانضمام لها بل هو ابن له يحمل نفس اللقب العائلي)، كما تمكّن خير الدين من القضاء على تمرّد قارة حسن، وفي 1527م قضى على حركة تمرّد أهالي مدينة الجزائر، والّتي قامت بتحريض من أتباع ابن القاضي، وقد حاول خير الدين حل المشكل بطرقة سلمية مستعينا بالعلماء الذين حذروا أتباع خير الدين من عواقب التمرد غير أن زعماء الثورة لم يقبلوا وساطة العلماء مما جعل هذه الأخيرة تصدر فتوى تقضي بوجوب القضاء على رؤوس الفتنة وتحريم التعامل معهم. فقام خير الدين بتفريق المتمردين واعتقال زعماء الثورة وإعدامهم.

كما تمكن حسن بن خير الدين عند توليه الحكم للمرة الثانية من القضاء على عبد العزيز صاحب قلعة بني عباس قرب بوعريريج في أواخر سنة 1560.

**صد الحملات الأجنبية:** أهمها الحملات الإسبانية الحملة الموجهة على شرشال سنة 1531م. ولعل أشهر صد حملة شاركان عام 1541.

**مضاعفة الحملات لإنقاذ مسلمي الأندلس:**

تم نقل الكثير من مسلمي الأندلس إلى المدن الساحلية بالجزائر، وجاء هذا التحرير بعد الاضطهاد الذي مارسته محاكم التفتيش حتى لجأ بعضهم للاحتماء بالجبال وأرسلوا لخير الدين يطلبون منه التدخل لحمايتهم وكمثال على ذلك ارسال خير الدين 36 سفينة لنقلهم للسواحل الإفريقية وتم نقل 70 ألف مسلم في سبع رحلات إلى الجزائر، واستمرت مساعدة البايلرباتات الآخرين.

**المنشآت العمرانية.**

تعد مرحلة البايلربايات مرحلة تشيد عدة منشأت عمرانية منها دار الإمارة وتسمى كذلك بدار السلطان وقصر الجنينة، ومن المنشأت الدينية بناء بعض المساجد منها مسجد الشواش الذي بناه خير الدين والتابع للمذهب الحنفي إضافة إلى القلاع والثكنات وبناء مدن جديدة كمدينة القليعة على يد حسن بن خير الدين سنة 1553، وقد استقر في هذه المدينة العنصر الأندلسي الذي نقل الى المدينة والجزائر خبرته في مجال الزراعة والحرف. وقام خير الدين أيضا باقتطاع أرض على سهل متّيجة وبنى عليها مدينة البليدة غير البعيدة عن مقر السلطة المركزية.

**مشاركة الجزائر في الحروب العثمانية.**

في عام 1533م غادر الجزائر حيث استدعاه السّلطان العثماني سليمان القانوني لمنحه قيادة الأسطول العثماني، و عني بذلك (قابودان باشا)، فخلفه حسن آغا الّذي اشتهر عهده بصدّ حملة شارلكان 1541م، وبعد هذا الانتصار أصبحت الجزائر تلقب بالمحروسة،

تميّزت مرحلة البايلربايات بمساهمة الجزائر إلى جانب الدّولة العثمانيّة في حروبها، وتجسّد ذلك في مشاركة الجزائر في مواجهة الأوربيّين الأعداء للدّولة العثمانيّة، ومساندة الأصدقاء منهم نتيجة للوفاق الفرنسي العثماني، وقف خير الدّين سنة 1542- 1543م إلى جانب الأسطول الفرنسي بقيادة فرنسوا الأوّل ضدّ الإسبان، وبذلك كفائة فرنسا بإعطائه حقّ الإقامة في مدينة نيس الفرنسيّة، و في الوقت ذاته واجهت الجزائر اختراقات فرنسا للمعاهدات الّتي أبرمتها فرنسا مع الدّولة العثمانيّة، فبعد كارثة ليبانت أصبحت الدّولة العثمانيّة في موقع ضعف لذا حاولت خرق المعاهدات المبرمة (منها معاهدة 1535م وهي معاهدة عقدت بين الدّولة العثمانيّة وفرنسا، بموجبها تحصّلت فرنسا على عدّة امتيازات في الدّولة العثمانيّة والإيالات التّابعة لها منها الجزائر الّتي حصلت فيها تأسيس مراكز تجاريّة في القالة وعنّابة، وبذلك تحكمت في صيد المرجان).

كما شاركت الجزائر إلى جانب الدّولة العثمانيّة في معركة ليبانت 1571م، ضدّ الأسطول المسيحي المتحالف ( إسبانيا و البندقيّة) بقيادة علج علي، ولقد فقدت الدّولة العثمانيّة الكثير من سفنها، ولحسن حظّها أنّ الجزائر برزت على السّاحة الدّوليّة، حيث قام أسطولها بملأ الفراغ الّذي تركه الأسطول العثماني و تمكن علج علي من تجديد الأسطول العثماني في ظرف قياسي دام سنة واحدة بعد كارثة ليبانت، كما ساهم علج علي في فتح تونس سنة 1574م، ومن مظاهر مساندة العثمانيين أيضا مشاركة الجزائر في حصار مالطا سنة 1565م.

**السياسة الخارجية للبايلربايات:**

لم تكن السياسة الخارجية المتبعة من قبل البايلربايات مستقلة عن الباب العالي، وبذلك يمكّن القول أنّ عهد البايلربايات يمثّل بناء النّظام العثماني بالجزائر، هذه الأخيرة الّتي أصبحت قوّة في البحر المتوسّط، وكانت الإيالتان تونس وليبيا تابعتين لها، نظرا للمستجدات البارزة المتمثلة في ضعف الدّولة العثمانيّة، والحروب في أوربا، خشيت الدّولة العثمانيّة من انفراد الجزائر بالسلطة في المغرب، والتالي الانفصال عنها، فلجأت لإجهاض هذه المخاوف بتغيير نظام الحكم في الجزائر، وتعويضه بحكم جديد أكثر مركزيّة من الأوّل، وهو ما يعرف بنظام الباشوات.

**نهاية حكم البايلربايات**

في شهر جوان من سنة 1587 توفي علج علي وكان محتفظا بلقب البايلرباي بالرغم من توليه لقيادة الأسطول العثماني سنة 1571 وتولي بايلربايات أخرون الحكم من بعده في الجزائر، قرر السلطان العثماني مراد الثالث الغاء نظام البايلربايات واستبداله بنظام أخر ويرجع هذا الإجراء لعدة أسباب منها تخوفه من حكم البايلربايات واستقلالهم عن السلطة المركزية. وبذلك تم استبدال النظام المطلق " البايلربايات" بنظام يحصر الحكم في ثلاث سنوات أو ما يعرف بنظام الباشوات.